

المؤرخين - أدركنا أىّ شعر فى المديح السياسى سفح الشعراء وأسأوا فى قوافى الدواوين ، يردّده أهل القبيلة فى السلم تهيئة للحرب وفخراً بالنصر وبعثاً لهمم الخاملة ، فالزعيم فى القبيلة كالملك فى الدولة لأنه سيد قومه وحاكمهم ، وإليه المعاد فى أمور السياسة والحكم ، وهو وحده صاحب الكلمة النافذة . ومصاحته هى مصلحة القبيلة ، ولا شأن للفرد إذا ذكرت الأسرة والعشيرة والدولة . وحدود القبيلة المؤقتة هى حدود الوطن ، ترسمها رماحهم وتكسبها نصابهم وتبنيها مواضعهم ، والدفاع عنها دفاع عن الوطن .

ولما كان الإسلام ، وقف حسان يمدح النبىّ فى دينه الجديد وسياسته الجديدة لإدارة الدولة ، ووقف خصومه يقاتلون سياسياً فى شعرهم ويردون على شعراء حزب النبىّ - إذا صحت التسمية - لذلك كان مديحه من جانب سياسى منصباً على حقه فى زعامة الأمة وإنقاذها من الفوضى والكفر ، والسير بها إلى التنظيم والإيمان ، فهو يشيد بالفتوح الإسلامية ويمتدح الدولة الجديدة القائمة لانتصاراتها فى فتح مكة وفى بدر ، أو يرد على خصومه من الشعراء السياسيين الذين انتصروا لحزبهم كذلك . وقد وقعت بعد انتقال الرسول قضية المبايعه فدعا الشعراء لمرشحيهم فى الحكم كما نقول اليوم ، وامتدح كلّ منهم صاحبه ، وراح يدلى بحججه فى حقه بالخلافة .

وقد حبس الخطيئة فأرسل يستعطف عمر بن الخطاب قائلاً :

أنتَ الإمام الذى من بعد صاحبه أتى إليك مقاليد النهى البشّر
لم يؤثروك بها إذ قدّموك لها لكن لأنفسهم كانت بك الأثر

فهو يرى أن البشر ألقن إليه مقاليد النهى بعد أبى بكر ، وآثروه بها ، لأنه أنفع المسلمين وأجدرهم وأحقهم ، فخاض بشعر بسيط فى خضمّ النزاع السياسى والحزبية المستعرة آنذاك ، وكأنه فنىّ الخلاف وقضى فيه بقوله هذا . وظلت هذه الخصومة فى الحجاز حتى انتقلت إلى العراق والشام بعد مقتل عثمان ، فقال